الروائـي موريسـ النجار لـ المدى : "الطِّفلُ هو القارِئُ الصَّعبُ الَّذي يُواجِهُهُ الكَتَبَة. فَهُوَ لا يُهادِنُ، ولا يُداجِي، وصَبرُهُ سَرِيعُ النَّفَاد"

في الحَقِيقَة، عندما يَطفَحُ الشُّعُورُ، وتَطغَى علـى القَلب أَمواجُ الذِّكرَيات، وبالأَخَصِّ عندما يُغذُّ الإِنسانُ سَيرَهُ في مَتاهَة العُمر المُتَقَدِّم، يَعجَزُ القَلَمُ عن إِخراجِ المَشاعِر. كَلِمات تَرتَقي إِلى ذُرَى الخَيال فيها، وتَغُوصُ إِلى أَعماقِ الحَنِين في قَرارَتِها البَعِيدَة. رِوايَةٌ صادِرَةٌ عَن أَحاسِيس، وحُرَقِ الفُؤاد في مَسِيرَةٍ طَوِيلَة، وما لا يَصدُرُ عن القَلب لا يَثبُتُ في القَلب. وهي مَشاهِدُ من الحَياة، رَسَمها المُؤلفُ "مُوريس النجار" بِرِيشَةِ المَشاعِرِ فأَضفَى عَلَيها بُعدًا لا تُظهِرُهُ المَحسُوسَات.

حاورته: ضحى عبدالرؤوف الملـ

مِن طَبيعَةٍ همْتُ بها حَتَّى الجُنُون، إِلى قِيَمٍ لمَّا تَزَل فِي النفس، إِلى أَيَّامٍ وَلَّت فتَرَكت في القَلب جِمارًا لا تخبُو، وذِكرَيات فيها طَعمُ الحَنِين والكَآبَة. وقد تميَّزت بديناميَّةٍ نأَى بها عن التَّسطِيح والرَّتابَة والتَّكرار، في بَيان من نَسيجِ الشِّعرِ وخَيالِه ورُؤاه، مِن دُونِ أَن يَكُونَ الشِّعرُ غايَةً، بل وَسِيلَةٌ مُترَفَةٌ مُؤَثِّرَةٌ لنَقلِ الواقِع المَحكيّ. والماضي جُذَى نَظُنُّها اختَفَت في رَماد الزَّمَن، ولكنَّها باقِيَةٌ هناك، في الصَّمِيم الأَدفأ، نَحمِلُها أَنَّى ارتَحَلنا، ومَهما تَقَدَّمَ العُمرُ، زادا لساعاتٍ تَتَصَفَّى فيها النَّفسُ مِن أَدرانِ الحاضِرِ المُنهَك بالمَشاغِل، وتَتَجَلَّى في خَدَرِ الاستِرجاع الجَمِيلِ لأَيَّامٍ غَبَرَت، وشَبابٍ وَلَّى. والذِّكرَياتُ، أَجمَلُ ما فيها هذه المَرارَةُ الرِّوائية اللَّطِيفَةُ الَّتي تُخَلِّفُها في الحَنايا، وتَرسُمُها على الأَجفانِ غِشاوَةً من نَدَى. وهي "امرَأَةٌ سادِيَّةٌ مُحَنَّكَة... إِنَّها تَختارُ لكَ باستِمرارِ الصُّوَرَ الَّتي تُعَذِّبُكَ حَتَّى قاعِ جُرحِكَ"، كَما تَقُول الأَدِيبَةُ غادَةُ السَّمَّان.

أَمَّا الرِّيفُ في هذه الرِّوايَةِ بِطَبِيعَتِه الخَلَّابَة، وأَرضِه المِعطاءِ الَّتي أَكَلَت مِن خُطُواتِنا ما أَكَلَت في السَّنَواتِ الغَضَّةِ مِنَ الطُّفُولَةِ البَرِيئَة، والصِّبا الفائِر، فَإِنَّهُ الكَنزُ الَّذي وَضَعَهُ اللهُ بَينَ أَيدِينا، فَعَسَى أَن لا نُضِيعَهُ في مُكَعَّبات الإِسمَنتِ الصَّمَّاء. وهو الَّذي أَمَدَّهُ مُورِيس بالصُّوَرِ الَّتي تُوَشِّي كِتابَتَه، وبالوِجدانِ الَّذي يَسرِي في حُرُوفِها مَعَ المِداد. والأَرضُ، "تَصنَعُ نُفُوسَ الرِّجال"، كَما يَقُولُ بُول كُلُوديل (Paul Claudel، poète Français، ١٨٦٨ - ١٩٥٥). "أَقدار"، في مُعظَمِها، تَجارِبُ ذاتِيَّةٌ، رَسَمتُها بِصِدقٍ خالِص، فتَلأْلأَت في الرِّقاعِ وَفيها حَرارَةُ الحَياة، لذا فَحَظُّها في العُبُورِ إِلى حَيَواتِ الآخَرِين وافِرَةٌ، على ما أَظُنّ. وهي تَصوِيرٌ صادِقٌ لِمَساراتِ أَشخاصٍ مَرُّوا في الحَياة، وتَرَكُوا على جِدارِها بَصَماتٍ لن تُمحَى. والرِّوايَةُ، إِن لَم يَكُن وَكْدُها الرَّئِيسُ تَصوِيرَ الحَياة، التي لا استِزادَةَ لَغَناها، فَمَا تَراهُ يَكُون؟ مع الروائي موريس النجار اجريت هذا الحـوار...

- رِوايَتُكَ "أَقدار" تُرجِعُنا إِلى الأُدَباءِ القُدَماء مَعَ فاصِلٍ مُهِمٍّ هو التَّشكِيلُ الَّذي يُلزِمُ بالقِراءَةِ الصَّحِيحَة، فَما هي، بِرَأيِك، قِيمَةُ التَّشكِيل، وأَهَمِّيَّتُهُ، في النَّصِّ العَرَبِيِّ على أَنواعِه؟

أَن تُرجِعَ هذه الرِّوايَةُ القارِئَ إِلى الأُدَباءِ القُدَماء، لَهُوَ قَولٌ يَتَضَمَّنُ قَدْرًا مِنَ الثَّناءِ إِلى قَدْرٍ مِنَ الشَّطَط. فإِذا كانَ المَقصُودُ أَنَّها تَتَمَتَّعُ بما كانَت عَلَيه رِوايَةُ "القُدَماء" مِن مَتانَةِ اللُّغَة، وخُلُوِّها مِنَ الأَخطاءِ الإِعرابِيَّة، وبَيانِها المَصقُولِ الرَّاقي، فإِنَّ هذا الثَّناءَ تَطمَحُ أَن تَكُونَ جَدِيرَةً بِه. وأَمَّا إِذا قُصِدَت ضَعَفاتُ القَصِّ القَدِيم، مِن سَذاجَةٍ في الأَحداث، إِلى مُفاجَآتٍ تَتَخَطَّى المَعقُول تُتَصَنَّعُ لِبُلُوغِ تَشوِيقٍ أَو حَلِّ عُقدَةٍ تَأَزَّمَت، أَوِ الخُرُوجِ مِن مَأزِق، إِلى تَبسِيطٍ طُفُولِيٍّ، أَحيانًا، في المَشاعِر والأَحاسِيسِ وَالدِّرامِيَّةِ المُفرِطَةِ بُغيَةَ استِدرارِ الدَّمعِ وتَوَسُّلِ الآهات، إِلى الغُلُوِّ في الوَعظِ والإِرشاد، إِلى التَّعَمُّلِ في إِسباغِ بَلاغَةٍ ضافِيَةٍ لا يَحتَمِلُها القَصُّ، فإِنَّ "أَقدار" "بَراءٌ مِن هذا كُلِّه، وَ "البَيِّنَةُ عَلى مَن ادَّعى"!

أَمَّا في أَهَمِّيَّةِ التَّشكِيل، وقِيمَتِه، فَيَحضُرُ إِلى خاطِري قَولُ الدُّكتُور مُصطَفَى جَواد: "أَلحُرُوفُ العَرَبِيَّةُ إِذا أُزِيلَت عَنها الحَرَكاتُ زالَت مِنها البَرَكات". ناهيكَ بما تَعتَوِرُ القِراءَةَ مِنَ التِباساتٍ حِينَ تَرِدُ الكِتابَةُ عارِيَةً مِنَ الحَرَكات. والنَّصُّ العَرَبِيُّ وُلِدَ مُحَرَّكًا، سَوِيًّا، لا شائِبَةَ فيه، فَهَل نَمسَخُهُ كَرْمَى لِلخُمُولِينَ المُتَوَجِّسِينَ مِن أَخطاءٍ كِتابِيَّةٍ تَكشِفُ عَوراتِهِم؟! وَسَبَقَ أَن ذَكَرتُ، في مَقالَةٍ لي حَولَ اللُّغَة، قَولًا مُتَداوَلًا عَن أَهَمِّيَّةِ الحَرَكات، وهو: "إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشرِكِينَ ورَسُولُه". فَجَرُّ اللَّامِ في "ورَسُولِه"، وضَمُّها، يُعطِيانِ مَعنَيَينِ مُتَضادَّين.

ثُمَّ أَلا يَزُجُّ إِلغاءُ الحَرَكاتِ القارِئَ في مَتاهَةِ التَّأوِيلِ الَّذي يُفضِي إِلى مَعانٍ مُختَلِفَة؟! التَّشكِيلُ، يا سَيِّدَتي، عِمادٌ رَئِيسٌ في العَرَبِيَّة، وهو الَّذي يَقِيها مِن كُلِّ عِثار، ويَصُونُها أَمِيرَةً بَينَ اللُّغات، فَلا نَستَسهِلَنَّ الأُمُورَ كَي لا نَقَعَ في المَحظُور!

- "أَقدار" هي رِوايَةٌ كلاسِيكِيَّةٌ، ويُمكِنُني وَصفُها بالتَّربَوِيَّةِ القائِمَةِ عَلى السَّبكِ اللُّغَوِيِّ، ومَتانَةِ الصُّورَة. لماذا هذا الأُسلُوب؟

نَعَم هي كلاسِيكِيَّةٌ، أُصُولِيَّةٌ، فيها مَلامِحُ القَصِّ التَّقلِيدِيِّ، مِن سِياقٍ يَتَساوَقُ مَعَ تَسَلسُلِ الزَّمَن، ولُحمَةٍ تَربُطُ الأَحداثَ فَلا تَتَفَكَّكُ وتَتَراكَبُ، ووَصفٍ لِلشَّخصِيَّاتِ مِن خارِجٍ ومِن داخِل، إِلى التَّركِيزِ عَلى البِيئَةِ طَبِيعَةً ومُجتَمَعًا، وإِحياءِ عاداتٍ وسُلُوكِيَّاتٍ مِن صَمِيمِ الرِّيفِ عَفَّاها الزَّمَنُ، وأَكَلَها صَدَأُ النِّسيان، وذلك مِن دُونِ السُّقُوطِ في تَجرِبَةِ الوَعظِ والإِرشاد، والمُصادَفاتِ الصَّادِمَة، وتَدَخُّلِ القَضاءِ والقَدَرِ والمَشِيئَةِ العُليا. وهي تَربَوِيَّةٌ مِن ناحِيَةِ التِزامِها بالقِيَم، وابتِعادِها عَن تَوَسُّلِ الجِنسِ أَداةً لِلانتِشارِ الرَّخِيص. أَمَّا السَّبكُ اللُّغَوِيُّ المَتِينُ، ووَفرَةُ الصُّوَر، فَهذا مِن مُقَوِّماتِ الكِتابَةِ الَّتي تَدُوم، والَّتي تَلِيقُ بها الرُّفُوفُ العُلَى. وفي الأُسلُوبِ الَّذي اتَّبَعتُهُ في هذه الرِّوايَة، أُسلُوبِيَ الَّذي لا يَنفَصِلُ عَنِّي، شِعرِيَّةٌ تَتَجَلَّى في النَّثرِ فَتُحِيلُهُ شِعرًا غَيرَ مَنظُوم، لائِقًا بالسَّردِ الرَّاقي الَّذي يَسِيرُ عَلى حافَّةٍ سَنِينَةٍ بَينَ الطَّبِيعِيَّةِ والتَّعَمُّل.

ولا نَنسَى أَنَّ الرِّوايَةَ حَمَّالَةٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الأَلوانِ الأَدَبِيَّة، فَهي تَأخُذُ مِنَ الشِّعرِ الكَثِير، ومِنَ السِّينَما رَكائِزَ صُلبَةً تُغنِيها، ومِنَ الفَنِّ التَّشكِيلِيِّ أَبعادَهُ وصُوَرَهُ والتَّعبِيرَ عَمَّا يَختَفِي وَراءَ المَشهَدِيَّةِ الظَّاهِرَة، ومِنَ التَّارِيخِ قاعِدَةً تَرتَكِزُ عَلَيها، ومِنَ النَّقدِ بَراعَةَ تَحاشِي السَّقَطات. ثُمَّ أَلَيسَتِ الرِّوايَةُ "شِعرَ الدُّنيا الحَدِيثَة"، كَما يَقُولُ أَدِيبُنا الكَبِيرُ نَجِيب مَحفُوظ؟!

- تُعِيدُنا الرِّوايَةُ إِلى أَصالَةِ الأَدَبِ المُجَمَّلِ بِجَمالِيَّةِ الصُّورَةِ والمَعنَى. هَل تَأَثَّرتَ بالأُدَباءِ مِيخائِيل نُعَيمَة، وأَمِين نَخلَة، وسِواهُما؟

"إِنَّ كُلَّ نَصٍّ جَدِيدٍ هو نَسِيجٌ مِن اقتِباساتٍ مُستَلَّةٍ مِن نُصُوصٍ سَبَقَتهُ".

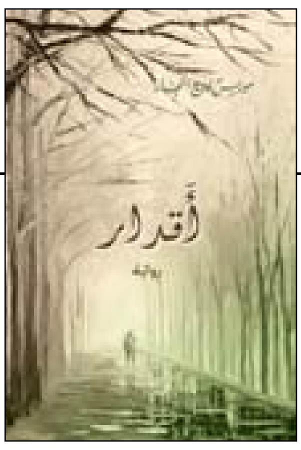

قالَها رُولان بارْت (Roland Gérard Barthes، penseur Français، ١٩١٥ - ١٩٨٠) صائِبًا. ومِن هُنا لا يَستَطِيعُ أَدِيبٌ أَن يَتَبَرَّأَ مِن أَثَرِ الكَثِيرِين، مِمَّن اطَّلَعَ على نِتاجِهِم. فاللَّاوَعْيُ خَزَّانٌ مِن مَعارِفَ دَبَّجَتها الإِنسانِيَّةُ في مَسِيرَتِها الطَّوِيلَة، يَمتَحُ مِنها الوَعْيُ، دَرَى الكاتِبُ أَم لَم يَدرِ. وكُلُّ مُبدِعٍ هو نَتِيجَةٌ لِتَوقِ النَّفسِ الشَّفِيفَةِ إِلى الجَمالِ الكائِنِ في الطَّبِيعَةِ وفي الأَعمالِ الفَنِّيَّةِ الخالِدَة، وفَضلُ المُبدِعِ عَلى سِواهُ يَكمُنُ في الصِّياغَةِ الَّتي يَصُوغ، أَمَّا المَضامِينُ فَهِيَ راهِنَةٌ مِن سَلَفٍ إِلى خَلَف. إِنَّا وَرِثنا الكَثِيرَ مِن كُنُوزِ الكَلِمَة، وسِحرُها أَنَّها فاعِلَةٌ في كُلِّ مَن يَمَسُّها، والبَرَرَةُ هُمُ الَّذِينَ يُوَرِّثُونَها الآتِين. هكذا... ولا أُبَرِّئُ نَفسي، إِنَّ النَّفسَ لَأَمَّارَةٌ(١) بالأَخذِ المُبارَكِ مِن كُلِّ إِبداعٍ وجَمال.

وقالَها الإِمامُ عَلِيُّ بنُ أَبي طالِب، بِبَلاغَتِه المَعهُودَة: "لولا أَنَّ الكَلامَ يُعادُ لَنَفِد".

أَمَّا أَن تُعِيدَ رِوايَتي القارِئَ "إِلى أَصالَةِ الأَدَبِ المُحَمَّلِ بِجَمالِيَّةِ الصُّورَةِ والمَعنَى"، فَهذا يُحسَبُ لها لأَنَّ الجَمالَ هو الشَّرطُ الأَوَّلُ لِلإِبداع، وتَحَدِّي الفَناء، والأَصالَةُ هي الباقِيَةُ أَبَدًا كَما عَلَّمَنا التَّارِيخ. أَلا رَحِمَ اللهُ شاعِرَنا مَحمُود دَروِيش إِذ قال: "الرِّوايَةُ لَيسَت مُجَرَّدَ سَردٍ أَو عَرْض، إِنَّها بِناءٌ فَنِّيٌّ وأَداءٌ جَمالِيٌّ لَهُ أَدَواتُهُ الخاصَّةُ ومَعمَلُهُ الخاصّ، ولا تُسَمَّى الرِّوايَةُ رِوايَةً إِلَّا بِتَصمِيمِ هذا البِناءِ الفَنِّيّ، وبِتَحقِيقِ هذا الجَمالِ الأَدائِيّ".

- لا أُبالِغُ إِن قُلتُ إِنَّ الرِّوايَةَ هي تَربَوِيَّةٌ، وتُحاكي كُلَّ المَراحِلِ العُمرِيَّة. هَل قَصَدتَ ذلك؟

لَقَد أَصَبتِ، يا سَيِّدَتي، فالتَّمَسُّكُ بالقِيَمِ الأَخلاقِيَّةِ مِن إِخلاصٍ وصَداقَةٍ وتَعَفُّف، والاحتِفالُ بها، والتَّحرِيكُ الَّذي يُلزِمُ القارِئَ بالقِراءَةِ السَّلِيمَةِ الَّتي تُصبِحُ مَلَكَةً إِذا استُدِيمَت مُمارَسَتُها، والإِنشاءُ الجَمالِيُّ السَّلِس، تَضَعُ هذه الرِّوايَةَ في مَصافِّ الأَعمالِ الَّتي يُنصَحُ الطُّلَّابُ بِمُعالَجَتِها. وهي لا تُنَفِّرُ القارِئَ الثَّقِيف، لِما فيها مِن شُخُوصٍ نَماذِجَ نَتَماهَى مَعَها، ومِن عَودَةٍ إِلى مَواطِئِ الطُّفُولَةِ والصِّبا، حَيثُ نَرَى أَنفُسَنا في مَراحِلَ مِنَ العُمرِ لا تَفُوتُ مَن أَسبَغَ اللهُ عَلَيهِ العُمرَ المَدِيد. وهي لا يَنقُصُها تَحلِيلُ الأَحاسِيس، وسَبرُ الأَغوارِ في الوِجدانِ البَشَرِيِّ الَّذي يَتَشابَهُ فيهِ خَلقُ الله.

وإِنِّي ما قَصَدتُ غايَةً أَسعَى إِلَيها وأَنا أُدَبِّجُ، بَل تَرَكتُ القَلَمَ عَلى سَجِيَّتِه، يَطُوفُ حُرًّا في مَنازِلِ الذَّاكِرَة، كَي لا يُجَرِّحَ في الأَدِيمِ الزَّاهي لِصُوَرٍ رَسَخَت في البال، وما عَفَّتها الأَيَّام.

- يُمكِنُ قِراءَةُ نَصِّ الرِّوايَةِ قِراءَةً إِفرادِيَّةً صَحِيحَةً فالنُّصُوصُ مُحَرَّكَةٌ وهذا يَضَعُكَ أَمامَ الالتِزامِ بِقَواعِدِ اللُّغَةِ والتَّشكِيل. هَل تَلفِتُ الانتِباهَ إِلى ما يَجِبُ اتِّباعُهُ لُغَوِيًّا؟

الانحِدارُ الَّذي نَراهُ، أَيَّامَنا هذه، في تَولِّي اللُّغَةِ العَرَبِيَّة، يَعُودُ، في بَعضِ مَناحِيه، إِلى الاستِسهالِ في مُقارَبَةِ هذه اللُّغَةِ المُعجِزَة. فإِذا رُمْنا الإِصلاحَ وَجَبَ الابتِداءُ مِن حَيثُ سَرَبَ الدَّاء، أَي مِنَ التَّفَلُّتِ في تَدَبُّرِ اللُّغَة. لِذا وَجَبَ وَضعُ ضَوابِطَ لِلقِراءَةِ تَقِيها مِنَ الأَخطاءِ الَّتي تُصبِحُ مَقبُولَةً عِندَ النَّاس، وقَد تُصبِحُ القاعِدَةَ إِن أُرخِيَ لَها العِنان. ومِن هُنا كانَ القَولُ المَأثُور: "خَطَأٌ مَشهُورٌ خَيرٌ مِن صَوابٍ مَهجُور".

- التَزَمتَ بالحَبكَةِ اللُّغَوِيَّةِ المَتِينَة. أَلَم تُقَيِّدكَ هذه البِنيَةُ الرِّوائِيَّة؟

في الحَقِيقَة، ما هو التِزامٌ شِئتُهُ، بَل هو مِن صُلبِ طَبِيعَتي الكِتابِيَّة. هو أُسلُوبي، "جِلدِيَ اللُّغَوِيُّ"، الَّذي لا أَكتُبُ إِلَّا مِن خِلالِه. وما أَحسَستُ قَطُّ بِقَيدٍ يُكَبِّلُني، لأَنَّ مَن يَتبَعُ طَبِيعَتَهُ يَبقَى حُرًّا طَلِيقًا، ومَن يَتَعَمَّلُ لِلتَّألِيفِ لا تُفارِقُهُ السَّلاسِل.

وهُنا تَحضُرُني قَولَةٌ عَمِيقَةٌ لِلفَيلَسُوفِ مارتِن هايدِغر(٢): "يَتَصَرَّفُ الإِنسانُ عَلى أَساسِ أَنَّهُ سَيِّدُ اللُّغَة... لكِنْ في الواقِعِ تَبقَى اللُّغَةُ سَيِّدَةَ الإِنسان".

أَمَّا عِنايَتي بِمَتانَةِ اللُّغَة، والأُسلُوبِ التَّعبِيرِيِّ الشَّاعِرِيِّ، فَمَرَدُّهُ إِيماني أَنَّ التَّعبِيرَ عَنِ الجَمال، طَبِيعَةً وعاطِفَةً ووِجدانًا، لا يَكُونُ إِلَّا بِجَمالٍ مُماثِلٍ مَطِيَّتُهُ لُغَةٌ سَلِيمَةٌ بِأَلفاظٍ فائِقَةِ الدَّلالِيَّةِ مَرصُوفَةٍ في جُمَلٍ تَتَناغَمُ فيها السَّلاسَةُ والجَرْسُ ومُكْنَةُ التَّحرِيكِ والإِيحاء. وكُلُّ ذلكَ يَجِبُ أَن يَكُونَ في قِسْط، فالمُبالَغَةُ في التَّنمِيقِ اللُّغَوِيِّ تُسِيءُ إِلى الرِّوايَةِ كالتَّراخِي والاستِسهال. ولا نَنسَى أَنَّ "الرِّوايَةَ لَيسَت ظاهِرَةً لُغَوِيَّة" كَما رَأَى إِيكُو(٣). في النِّهايَة، على الأُسلُوبِ أَنْ يَكُونَ رَقِيقَ الوَقْع، شَفِيفًا نَرَى مِن خِلالِهِ الطَّبِيعَة، ويَحمِلُنا بِطاقَتِهِ الإِيحائِيَّةِ إِلى أَعماقِ الشُّخُوص.

في حوار مع الفائز بجائزة غونكور لهذا العام :

إيريك فويارد : التاريخ هو وسيلة للنظر الى الحاضر..

ترجمة : عدوية الهلالي

بعد المغربية ليلى سليماني التي فازت بجائزة غونكور الأدبية في العام الماضي، اضحت هذه الجائزة الأعرق والارقى في فرنسا من نصيب الكاتب الفرنسي ايريك فويار (٤٩ عاما) عن روايته (ص) الصادرة عن دار اكت سود للنشر.. صحيفة الفيغارو الفرنسية أجرت معه حوارا شرح فيه كيف سعى في جميع كتبه الى إزالة الغموض عن الحقائق التاريخية من خلال الكتب فبعد أن تناول في كتبه السابقة عملية اقتحام سجن الباستيل في ١٤ تموز وغزو الغرب والحرب العالمية الاولى، يختار اليوم ظهور النازية موضوعا لروايته الجديدة..

×الفيغارو : أنتَ تسرد التاريخ عبر حقائق نادراً ماتذكر، فماهو المشهد الذي أثار لديك الرغبة بالكتابة هذه المرة؟

- بعد أن قرأت كثيراً عن الحرب العالمية الثانية، وجدت بأن التصور الذي نملكه عن تلك الحرب وعن الجيش الألماني لايتوافق مع الحقائق، لذا أحاول التخلص في كتابي من فكرة إدعاء الظفر، ذلك أن الدبابات تعطي حتما انطباعا عن القوة بينما كان الجيش الالماني في الحقيقة إما من المشاة او الخيالة، ونحن نعلم جيداً بأن الصورة الراسخة في أذهاننا هي مجرد دعاية جاءت بتكليف من غوبلز، وهنا يكمن جوهر الرواية، التي أحاول فيها تهشيم هذا الانطباع والخلل الغريب بقدر ما أمكنني ذلك..

× الفيغارو / أنتَ تذكر أيضاً اجتماعا سرياً للصناعيين الألمان مع هتلر ووجبة غداء في وداع ريبينتروب في لندن، كيف اخترت هذه المشاهد بالتحديد؟

- استفدت من الصور والأفلام وبعض المذكرات التي قرأتها وكذلك أرشيف محاكمة نورمبيرغ، فأنا أعمل بهذه الطريقة وبها أبني آرائي.... هناك -على سبيل المثال – تلك الرسالة المذهلة من والتر بنجامين الذي يقول فيها إن شركة الغاز النمساوية رفضت فجأة خدمة زبائنها اليهود لأنهم لم يعودوا يدفعون فواتيرهم، وهذا يعني انهم برفضهم تجهيز اليهود بالغاز فقد اساءوا الى نشاطهم بتفضيل الغاز على قضية الأجور، وبقراءة هذه الرسالة قد يتساءل القارئ فيما اذا كان المؤلف يستخدم الكوميديا السوداء أم يقول الحقيقة..وفي الواقع، أنا استخدمت الاثنين معا فالسخرية هنا هي وسيلة للكشف عن الحقيقة.. لقد حاولت أن أصنع مناخاً خاصاً بأن أسلك الممرات الصغيرة للبحث عن تلوث الضمائر..

× الفيغارو/ ماالذي يمكن أن يدعونا لفهم التاريخ من خلال الأدب؟

- يبدو لي إننا، ولكي نفهم اشياءً معينة، فنحن بحاجة الى قصة..فاذا كانت الأرقام يمكن أن تقشعر لها الأبدان وأحيانا تكون صادمة، فان تجسيد الشخصيات يلمس الواقع بطريقة مختلفة..كما إن تسجيل الأحداث لصناعة حبكة سيتطلب عمل مونتاج، ومن هنا فإن رأياً مبتسراً قد يسمح بالتقاط اشياء لايمكن أن نفهمها بشكل آخر..انه يشبه تأثير (الشمعدانات) لدى جان فالجان بطل رواية البؤساء فهي مقدمة لقصة كبيرة..بالنسبة لي، يمكنني أن أروي اللحظات الحميمة لشخصيات كبيرة بفضل الأرشيف لكن هذا قد يؤدي الى خسارة القصة الكبيرة ويجعلها أقل إثارة للاعجاب..

× الفيغارو / ماالذي يقرّب بين هذين المجالين؟

- هناك علاقة عميقة بين الأدب والتاريخ.. الإلياذة هي قصيدة لكنها كتاب تاريخي ايضا، وعندما نقرأ رواية (البؤساء)، فنحن نصادف باستمرار مشاهد من الحياة الجمعية..لايوجد تاريخ إذن دون تأليف، وليس من علم دون إسلوب سردي، فالمعرفة لكي تكون محكمة لابد أن تكون بهيئة رواية وأن يقوم هيكلها على الخيال، وفن الكتابة هو ذاته وسيلة للتقارب بين المجالين..

×الفيغارو / في كتبك، تترك التاريخ وتركز أكثر على أشياء جديدة؟

- طوال القرن العشرين، اهتم الكتّاب والمؤرخون كثيراً بالناس العاديين واقتربوا بطريقة ما من حياة الناس ومعاناتهم، وهذا يتوافق مع العملية الديمقراطية.. لكنه يلغي المسؤوليات بالمقابل، وتبدو الحياة اليومية وكأنها تتخلى عن نفسها، كما لو يكن هناك أحد، وهذا يلفت النظر كما في الروايات التي تدور حول الحرب الكبرى..

× الفيغارو / كتابك يترابط بوضوح مع الحاضر.. لماذا؟

- التاريخ هو دائما وسيلة أخرى للنظر الى الحاضر.. العالم اليوم يختلف بالتأكيد جذرياً عما كان عليه في سنوات الثلاثينيات، ولكن الاحداثيات والعناصر تتشابه مع ذلك، فنحن نشهد صعودا في السلطة والعنصرية لكننا نشهد أيضا نفوذا قويا للمال وتزايداً في عدم المساواة..وفي هذا الكتاب، أردت أن ألاحق تطور الحلول الوسط والكلام العقلاني والمفاوضات بين المسؤولين الذين سمحوا ببقاء الفاشية..

× الفيغارو/ ماهو جزء الابتكار في قصصك؟

- بالمعنى الدقيق للكلمة، يمكنني أن أقرض بعض الأفكار والمشاعر للشخصيات، فعندما أروي مقابلة مستشار النمسا شوسينغ مع هتلر، فأنا لاأخترع الحوار الذي ذكره شوسينغ في مذكراته لكني أعيد تفسيره بطريقتي.. فما كان يبدو كبيرا في موقفه، يمكن أن يكون بالنسبة لنا سخيفاً، ومايبدو له دون عواقب يمكن أن يكون حاسما بالنسبة لنا..وهذا هو نظام الابتكار بمعناه الدقيق..

× الفيغارو / هل تدعي دور الاخلاقي أكثر من كونك كاتباً؟

- أنا لن أتحدث عن الاخلاق لكنني لايمكنني الكتابة خارج إطار العالم، فأنا مشبع بعصري وكتبي هي نتاج اجتماعي...هناك موقفان يتنافسان لدي، فالعمل كما لو كان العالم شفافا ودون ايديولوجية وكما لو كانت الحقائق عبارة عن معطيات أولية وهنا يمكن أن تكون الروايات محايدة، وهذا ليس مايحدث بطبيعة الحال..أما الحل الآخر فيقوم على محاولة تجاهل أو الكشف عن بعض الايديولوجية التي نعيشها..ففي عصر مضطرب مثل عصرنا، فان مايحدث في المستقبل غير مؤكد، وماهو أكثر وضوحاً يبدو ضرورياً بالنسبة لي..واذا كانت الكتابة وسيلة للبت في أمر ما، فلن يكون ذلك ممكنا إلا بواسطة دليل...